ضياء القواعد

ونشر الفوائد لأهل المقاصد

تأليف

الشيخ العارف بالله عبد الله بن محمد بن عثمان

المعروف بابن فودي

تغمده الله برحمته آمين

Scanned with CamScanner

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وكل من والاه.

أما بعد:

فهذا ((ضياء القواعد ونثر الفوائد لأهل المقاصد)).

واعلم أنك لا تسلك سبيلهم إلا بمراقبة الأوقات وأحكامها بالتوبة والإستغفار عند العصيان، وشهود المنة في الطاعة والرضى في البلية والشكر في النعمة ناظرا لسبب كل منها وحاله ومآله، ولا تصل إلى ذلك إلا برياضة النفس وإصلاح القلب بنور يقذفه الله فيه بلا واسطة، أو علم واسع, وعقل كامل, وفكرة سليمة من الشواغل، أو صحبة شيخ, أو أخ, هذه حالته، وإدامة ذكر أهل الحضرة، وهو (الحمد لله أستغفر الله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله). ذكر بعض الصالحين أن من قال كل يوم خمسا وعشرين مرة. (أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا يموت وأتوب إليه) لا يرى في نفسه وولده شيئا يكره أبدا إن شاء الله تعالى مجرب. وبعضهم لا يسكت عن لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى امتزج بلحمه ودمه حتى كانت تخرج مع نفسه في النوم كحاله في اليقظة.

ومن أهم الأشياء اجتناب الغيبة، قال تعالى: -﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴿١٢﴾ ﴾ الحجرات: ١٢، وقال عليه السلام لعائشة رضي الله عنها حين قالت له حسبك من صفية أنها قصيرة "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته" يعني خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها, وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة إذا وقعت منك فاقرأ (سورة الإخلاص والمعوذتين) وأهد ثوابهما للمغتاب فيه وإذا تيقنت عدم السلامة ففِرَّ بدينك إلى حيث يسلم لك، قال عليه السلام:

Scanned with CamScanner

"يوشك أن يكون خير مال المسلم غَنَم يتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن".

(ومن المريدين) من يصلح لعمل العبادات، ومنهم من يصلح لعمل القلوب بحسب ما أودعه الله من القوة على تلقي أنوار التجليات، وينبغي أن ينظر في كتب أحوال الصالحين منهم من يصلي الصبح بوضوء العشاء. ومنهم من يمكث أربعين يوما لم يأكل شيئا لتعرف نفسه قدرها وتترك الادعاء أنها من الصالحين.

قال بعضهم: من واظب على قراءة الفاتحة مرة وألم نشرح ثلاث مرات وإنا أنزلناه إحدى عشرة مرة في خلوته فتح الله عليه من غير تعب وهو مجرب. وقال المكناثي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له: "يا رسول الله ادع الله لي أن لا يموت قلبي" قال: قل كل يوم "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت" أربعين مرة.

ثم اعلم أن أهل الصلاح منهم من لا يسأل ولا يقبل ما أعطي. ومنهم من لا يسأل ولا يرد ما حل في ظاهر الشرع وهم الأكثر, ومنهم من لا يسأل إلا عن حاجة فيقبل بقدر الحاجة، وما بعد هؤلاء إلا المُدَّعون يأخذون للتكاثر وليس من شأن أهل الطريقة, وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه: "من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يأخذ منها حاجته, وما رأينا أحدا اتبعها فطلبته الآخرة".

وفي بعض الكتب المنزلة: "يا ابن آدم مهلا فإن الرزق مقسوم, والحريص محروم, والبخيل مذموم, والحسود مغموم, والدنيا لا تدوم, والرازق الحي القيوم". وقال بعض أهل الله يوصي أخاه لا تشتغل بمن يؤذيك واشتغل بالله يرده عنك فإنه هو الذي حرّكه إليك ليختبر دعواك في الصدق وإياك أن تصغي إلى المستهزئين بأهل الله, فتسقط من عين الله، وتستوجب العذاب منه, فإنهم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق والإخلاص والوفاء ومراقبة الأنفاس مع

Scanned with CamScanner

الله، قد سلَّموا قيادهم إليه، تركوا الإنتصار لأنفسهم حياءً من ربهم، واكتفاء بقيوميته، فقام لهم بأوفى ما يقومون لأنفسهم، وكان المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غالبهم.

وينبغي لمن يريد خلاص نفسه أن يكون كثير الكراهة لملاقاة الناس، وإذا ابتلي بهم ولقيهم فليكن كلامه معهم في التوبة, وشروطها وعلوم المعاملة والخصال المكفرة للذنوب, ونحو ذلك بحسب مقتضى الحال والمقال، وإياك يا أخي من إظهار الخشوع عند الناس وليس في قلبك. قالت عائشة رضي الله عنها لرجل بلغها أنه كان يحنى رأسه ويطأطئه ويظهر الخشوع يا هذا أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه, كان أشد الناس خشية منك ولا يفعل ما تفعل. وفي فوائد السنوسي رحمه الله أن من قال كل يوم "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" فإنه تسهل عليه سكرات الموت. قال ولازمه بعضهم فمات وهو ساجد في صلاة الصبح. وقال السيوطي: لا يجوز تمني الموت إلا عند ملاقاة العدو في الجهاد, وفي الأماكن المشرفة, وفي زمان الفتن, انتهى. ومن صلى ركعتين الأولى بفاتحة الكتاب وقوله تعالى "تبارك الذي جعل في السماء بروجا" إلى آخر السورة، وفي الثانية بعد الفاتحة "قد أفلح المؤمنون" إلى قوله تعالى "فتبارك الله أحسن الخالقين"، يعطيه الله أربعين خصلة من خصال الخير (كما جاء في الحديث)، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء, من دعا به نال كلما نوى به وهو: (اللهم إنك حي لا يموت، وغالب لا يغلب، وبصير لا يرتاب، وسميع لا يشك، وقهار لا يقهر، وأبدي لا ينفد، وقريب لا يبعد، وشهيد لا يغيب، وإله لا يضادُّ، وقاهر لا يظلم ،وصمد لا يطعم، وقيوم لا ينام، ومحتجب لا يرى، وجبار لا يضام، وعظيم لا يرام، وعالم لا يُعَلَّم، وقوي لا يضعف، ولطيف لا يوصف، ووَفِيٌّ لا يخلف، وعدل لا يحيف، وغني لا يفتقر، وكنز لا ينفد، وحَكَم لا يجور، ومنيع لا يقهر، ومعروف لا ينكر، ووكيل لا يخفر، ووتر لا يستشار، وفرد لا يستشير، ووهاب لا يرد، وسريع لا يذهل، وجواد لا يبخل، وعزيز لا يذل، وعليم لا يجهل، وحافظ لا يغفل، ومجيب لا يُسْمَع، ودائم لا يفنى، وباق لا يبلى، وواحد لا يُشَبَّه، ومقتدر لا ينازع، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

Scanned with CamScanner

وقال بعضهم من ذكر هذا الدعاء فإنه يكون أمانا للإقليم الذي ذكر فيه وهو: (اللهم لك الحمد بكل شيء تحب أن تحمد عليه، اللهم لك الشكر على كل شيء تحب أن تشكر عليه حمدا وشكرا كثيرين دائمين بدوامك عدد ما علمت وزنة ما علمت وملء ما علمت وعدد كلماتك وأضعاف ذلك، اللهم لك الحمد ولك الشكر بكل ذلك, كذلك على كل ذلك). يقال هذا الذكر الأخير مائة مرة, ومن قال: السلام عليك يا سيدي فلان، أيًّا كان من أولياء الله في أي مكان كان يأخذها ملك فيوصلها إلى ذلك الولي حيث ما كان قبره من بلاد الله، فيقول له فلان يقرئك السلام.

ومن أمان التخمة أن تقول عند الشبع: (الليلة ليلة عيد يا كرشي رضي الله عن عبد الله القرشي). ومن أراد أن لا يوجد منه ريح ما أكل فليذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند أول قضمة, ومن قرأ آية الكرسي, وجعل ثوابها لأهل القبور أدخل الله في كل قبر ما بين المشرق والمغرب أربعين نورا ووسع الله عليهم مضاجعهم وأعطي القارئ بكل ميت عشر حسنات. ومن قرأ سورة الأنبياء يوم عرفة وكلما مر باسم نبي من الأنبياء عليهم السلام صلى على نبينا صلى الله عليه وسلم, ثم صلى على ذلك النبي فإنه يعطى ثواب جميع أهل الموقف. وقال أحمد الزروق: "حق على العبد أن لا يفرط في مأمور، ولا يعزم على محذور، ولا يقصر في مندوب، فإن قصر به الحال حتى وقع في الأول أو الثاني أو الثالث، لزمه الرجوع إلى مولاه بالتوبة واللجاء إليه, والاستغفار، ولا ييأس من رحمة الله، انتهى".

وإذا غلبك الشيطان فاصرف همك إلى الله يكفيك، وأتى زيد الخيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن علامة الله في من يريد, وعلامته في من لا يريد فقال له عليه السلام: "كيف أصبحت؟ قال: أحب الخير وأهله وأحب العمل به, وإذا فاتني حننت إليه وإذا عملت عملا قل أو كثر أيقنت بثوابه، فقال: هي بعينها يا زيد.

Scanned with CamScanner

وقال الشافعي رحمه الله

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنـــال بهم شفـاعة

وأكره من بضـاعته المعاصي وإن كنـــا سواء في الصناعة

أوحى الله إلى داوود عليه السلام, يا داوود: "لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم وشوقي إلى تركهم المعاصي لماتوا شوقا إلى". وفي الحديث: "أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء". وقال تعالى: { قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ } الزمر: ٥٣. وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: "يا رسول الله إني ألممت بذنب عظيم فماذا يكفر عني" فقال له: "عليك بكلمتين خفيفتين في اللسان ثقيلتين في الميزان حبيبتين إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله إن لي ذنبا كبيرا أخشى أن لا أراك في عرصات القيامة ولا أجاورك في دار المقامة"، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أصبحت كل يوم فقل (سبحان من لا يعلم قدره غيره سبحان من لا يصف الواصفون قدر صفته) تغفر ذنوبك العظيمة وتجتمع معي في عرصات القيامة وتجاورني في دار المقامة". وفي الحديث: "ما أصر من استغفر". وقد قيل إن الفرق بين معصية المؤمن والفاجر أن المؤمن لا يعزم عليها قبل فعلها، ولا يفرح بها وقت الفعل، ولا يصر عليها بعد فعلها، والفاجر ليس كذاك.

وينبغي للمؤمن أن يداوم على أمرين الأول معرفة النعمة من الله والشكر عليها فيما وهب له من الإيمان، والثاني اللجاء إلى الله تعالى دائما في طلب السلامة. "من عظمت النعمة في عينه شكرها، ومن شكرها استوجب المزيد من المنعم بها حسب ما وعده الصادق". قال أبو الحسن الشاذلي: "من جاهد نفسه وهواه وشيطانه وشهوته ودنياه فغلب فهو منصور

Scanned with CamScanner

ومأجور، ومن جاهد فغلب فهو مغفور له ومشكور ما لم يصر على ذنب أو يرض بعيب أو تسقط منه الخشية بالغيب".

وكم من موتى يُحْيَى بذكرهم القلوب، وكم من أحياء تُقْسَى برؤيتهم القلوب، فعليك بالصالحين وذكرهم. قال عليه السلام: "اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها، واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها، واعمل لله بقدر حاجتك إليه، واعمل للنار بقدر صبرك عليها، فإذا أردت أن تعصي مولاك فاطلب مكانا لا يراك فيه"، انتهى. قال ابن المبارك: "لا تغتر بمال ولا تحمل معدتك ما لا تطيق وتعلم من العلم ما تنتفع به فقط". وقال ابن عباس: "أحفظ الله يحفظك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا". وقال عليه السلام: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة". وقال الفقيه ابن عامر: أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك. وقال سفيان الثوري: عليك بالأمر الأول وإخمال ذكرك ما استطعت فإن هذا زمان الخمول والعزلة وقلة مخالطة الناس فالنجاة الآن في تركهم وإياك والقرب من الأمراء ومخالطتهم. ووجد في زقاق الإسكندرية مكتوبا: إذا كان الله هو غاية الغايات، فالمعرفة به أجل العبادات، وإذا كان الموت حقا فالركون إلى الدنيا غرور، وإن كان القدر حقا فالحرص باطل، وإذا كان الغدر في النفوس طبعا فالثقة بكل أحد جنون، وإذا كان الله عدلا في أحكامه فعقوبات الخلق بما كسبت أيديهم.

وقال الصوفية: الوقت سيف إن لم تقطعه بالعمل قطعك بالأمل والنفس إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، من عاشر اللئام اكتسب اللؤم، من عرف الله أحبه وخافه وعظمه وامتثل أمره واجتنب نهيه، ومن عرف نفسه وعداوتها خالفها في كل ما تطلبه من الفضول وترك الشفقة عليك والثقة بها، ومن عرف الدنيا وحقارتها وفناءها أعرض عنها إلا ما لا بد منه من قوت وستر عورة، الدنيا غولة من غفل عنها أكلته، والآخرة مهولة من لم يراقبها فجاءته، ومن تعرض اليوم لمصالح العامة سلَّط البلاء على نفسه دينا ودنيا، وعلى العاقل أن

Scanned with CamScanner

يكون عارفا بزمانه ممسكا بلسانه مقبلا على شأنه، وأن يكون له أربع ساعات, ساعة يناجي فيها ربه, وساعة يحاسب فيها نفسه, وساعة يشتغل فيها بمباحه, وساعة ينتفع فيها بإخوانه وينتفعون به.

والسحر وقت المناجاة, وما بعد العصر للاستغفار من الزلات, وساعة الإخوان بعد الفراغ من الضرورات وأحسنها بعد الظهر وما عدا ذلك فهو للمباحات. وفي الحديث عنه عليه السلام: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك ودع العوام فإن من ورائكم أياما الصابر فيها مثل قابض على الجمر". وقال أيضا: "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا". انتهى.

فعليك بالإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار, واللجاء إلى الله في كل شيء ورفع الهمة عن الخلق بكل حال ورفضهم إلا من يدُلُّك على الله بإشارة صادقة أو أعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة، وإذاية العاقل نعمة عظيمة عليه لأن ذلك يمنعه من السكون إليهم والاعتماد عليهم والأنس بهم وإذا أراد الله بعبد خيرا جعل أنسه به وبذكره وتوكله عليه وصان سره عن النظر إلى الناس. وسئل الجنيد رضي الله عنه كيف السبيل إلى الإنقطاع إلى الله تعالى فقال: بتوبة تزيل الإصرار وخوف يزيل التسويف ورجاء يبعث على العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل. وقال: من تعلق بالخلق أحوجه الله إليهم ونزع الرحمة من قلوبهم عليه. وقال: العلم النافع أن تعرف ربك ولا تعدو قدرك. وقال الشاذلي رضي الله عنه: أشقى الناس من أحب أن يعامله الناس بكل ما يريد وهو لا يجد من نفسه بعض ما يريد.

فصل: ورأى بعض الصالحين النبي صلى الله عليه وسلم في المنام, فقال: يا رسول الله ما أدركناك حتى نسألك عن أفضل الأعمال، فقال له صلى الله عليه وسلم: أفضل الأعمال جلوسك عند ولي من أولياء الله قدر حلب شاة، قال حيا أو ميتا يا رسول الله، قال: حيا أو ميتا. قال محمد بن ناصر في أجوبته: وهذا أقل ما ينبغي أن يمكث الزائر بين يدي الولي

Scanned with CamScanner

والصالح وما زاد فهو خير. قال أحمد الزروق: إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكر الأولياء فما ظنك بمواطن اجتماعهم على ربهم بعد خروجهم من هذه الدار، فزيارتهم مستحبة إن سلمت من محرم أو مكروه.

ويقرأ الفاتحة ثلاث مرات. هذه آداب زيارة الأموات من الصالحين.

وأما آداب زيارة الأحياء منهم فهو أن يعزل الزائر نفسه عن علمه فيرجع إلى علمهم فيما يشيرون إليه يرى أن علمهم أكمل من علمه مفتقرا إليهم وإن كان أعلى منهم في الظاهر مع احتقار النفس والاستعداد للقبول بالجمع والاستماع وإظهار الافتقار لكل ما عندهم مما قل أو جل تارة بالسؤال وتارة بالتعريض, فإن كان الكلام عاديا أتى به متحفظا, وإن كان في الحقائق والعلوم, فإن حضرت نفسه ترك, وإلا تكلم بأقل ما يمكنه الكلام به في ذلك. ويستحب طلب الدعاء, وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه في الظاهر, لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استأذنه في العمرة لا تنسانا يا أخي من دعائك. وفي رواية, أشركنا يا أخي في دعائك. ويستحب الدعاء بظهر الغيب وفي حديث مسلم عنه عليه الصلاة والسلام ما من عبد يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا وقال الملك ولك بمثل ذلك وفي رواية دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به ولك بمثل ذلك وفي رواية يقول الله تعالى: "يا عبدي بك ابتدأ" وفي رواية أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب وينبغي عند الدعاء أن يستحضر معنى الأخوة التي أشير إليها في الحديث ومعنى العبودية التي نبه عليها في قول الله تعالى: "يا عبادي فيعمل على محبة الخير التام لمن كان أخاه ومحبة الله في إضافته إليه"، قال عليه السلام: "الدعاء هو العبادة"، وقال: "لن يهلك مع الدعاء أحد وقال إن الله يحب الملحين في الدعاء"، وقال: "من لم يسال الله يغضب عليه".

لكن للدعاء آداب نشير إليها بما في الحِكَم وهي: (لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك, فالله ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره

Scanned with CamScanner

لنفسك, وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد, وفيها ما طلب منك شيء مثل الاضطرار, ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة, والافتقار وفيها إن أردت ورود المواهب، عليك صحح الفقر والفاقة لديك إنما الصدقات للفقراء والمساكين, وفيها الفاقة بسط المواهب, وفيها ما الشأن وجود الطلب, وإنما الشأن أن ترزق حسن الأدب, وفيها لا تطالب ربك بتأخر مطلبك, ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك لا يكن طلبك تسببا إلى العطاء منه, وليكن طلبك إظهارا للعبودية وقياما بحق الربوبية متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء انتهى. قال عليه السلام: ما من داع يدعو إلا استجاب الله دعوته أو صرف عنه مثلها سوءًا، أو حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم انتهى.

فإذًا الإجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق وأدب حسبما ورد الوعد الصادق, وجاء في الحديث يقول جبريل عليه السلام "يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول دع عبدي فإني أحب أن أسمع صوته" وقال عبد العزيز المهدي من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق سبحانه فهو مستدرج وهو ممن قيل فيه اقضوا حاجته فإني أكره أن أسمع صوته. ومن كان مع اختيار الحق كان مجابا وإن لم يعط والأعمال بخواتمها وفي الحكم ربمَا دَلَّهم الأدب على ترك الطلب، وقال عليه السلام فيما يرويه عن ربه يقول الله عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. والحاصل أن الطلب كله لا يحسن إلا على وجه العبودية. والله أعلم.

فصل: ومن أهم المهمات الصلاة على سيد السادات في جميع الأوقات لمن يريد القرب من رب الأرضين والسماوات لأنها تجلب الأسرار والفتوحات وتصفي البواطن من سائر الكدورات لأرباب البدايات والإرادات, وأصحاب النهايات, فالسالك ترقيه والمريد تربيه, والعارف تبقيه بعدما تفنيه تزيد السالك قوة, والمريد فتوة, والعارف هيبة, والسالك تحبب إليه الأعمال, والمريد تكسبه الأحوال, والعارف تثبته في مقامات الإنزال, والسالك يتقوى بها

Scanned with CamScanner

إيمانه, والمريد يكثر منها إيقانه, والعارف يزداد منها, عيانه والسالك يزداد بها أنواره, والمريد أسراره, والعارف يستوي لديه ليله ونهاره، والسالك تكسبه النشاط, والمريد تحميه من الانحطاط, والعارف يتأدب بها على البساط, إلى غير ذلك من عباراتهم.

ولا شك أنها من أشرف شعائر الدين تنطوي تحتها سائر مقامات اليقين ولما نزل "إن الله وملائكته يصلون على النبي" الآية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه "لقد أغناني الله عن صلاتكم ولكن الله عز وجل أمركم بها كرامة لكم". انتهى.

هذي الكـرامة هل سمعت بمثلـها فأدم على الساعات طيب شذاها

صلـوا عليه وسلمـــوا وكفى بها فالخير أجمعه لـــدى مثـــواها

فالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سُلَّم ومعراج إذا لم يلق الطالب شيخا مرشدا، فقد قال صلى الله عليه وسلم: "الصلاة عليَّ نور في القلب ونور في القبر ونور على الصراط"، انتهى.

وإذا دخل النور في القلب خرجت منه الظلمة فاهتدى، ومهما صعب عليك المرام, فعليك بإكثار الصلاة عليه فإنه هو الواسطة بيننا وبين ربنا تعالى والدليل لنا عليه, ومدد جميع الخلق من الأنبياء والأولياء منه صلى الله عليه وسلم, فجميع أعمالهم تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وبالصلاة عليه يكتسب النور ولا تزول الظلمة إلا بالنور, ومعنى الظلمة ما يتعلق بالنفس من الدنس والقلب من الصدء فإن طهرت النفس من الدنس, والقلب من الصدإ زالت العلل المانعة للخير, ولا يحصل إتباع أفعاله وأخلاقه إلا بالمبالغة في حبه, ولا تحصل إلا بكثرة الصلاة عليه, ومن أحب شيئا أكثر من ذكره, قال صلى الله عليه وسلم : "كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد وعلى آل محمد"، رواه الطبراني في الأوسط.

Scanned with CamScanner

وأركان الدعاء: حضور القلب والرقة والاستكانة وتعلق القلب بالله وقطعه عن الأسباب، وأجنحته: الصدق، ومواقيته: الأسحار، وأسبابه: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن نال الأركان قوي, وإن نال الأجنحة طار في السماء وإن وافق المواقيت فاز, وإن نال الأسباب أنجح. وفي الحديث: "الدعاء بين الصلاتين لا يرد".

وفي الصلاة عليه عشر فوائد, صلاة الجبار، وشفاعة المختار، واقتداء الملائكة الأبرار، ومخالفة المنافقين والكفار، ومحو الأوزار، وقضاء الأوطار، وتنوير الظواهر والأسرار، والنجاة من النار، ودخول الجنة دار القرار، ورؤية الملك الغفار".

قال مالك: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة مرة في العمر وسنة في الصلاة ومستحبة في باقي الأوقات. وقال الشافعي: واجبة في كل صلاة، وبه قال المواز. وقال أبو حنيفة: واجبة عندما سمع ذكره. وقال أحمد بن حنبل: يجب الإكثار منها ما لم تلحق المصلي مشقة. روي أن من قال في يوم الجمعة ألف مرة "اللهم صل على محمد النبي الأمي" فإنه يرى من ليلته في المنام ربه ونبيه و منزله في الجنة فإن لم يره في ليلته ففي جمعتين أو ثلاث أو خمس لكن لا يكون ذلك إلا بعد خلوص النية وإحضار القلب مع التأدب كما قال بعضهم:

وكن عبده والق القياد لحكمه ... وإياك تدبيرا فما هو نافع

أتحكِّم تدبيرا وغيرك حاكم ... أأنت للأحكام الإله تنازع

فمحو إرادات وكل مشيئة ... هو الغرض الأقصى فهل أنت سامع

كذلك سار الأولياء فأدركوا ... على إثرهم فليمش من هو تابع

Scanned with CamScanner

وينبغي أن يراعي الطهارة لها والطيب, ونظافة الثياب وينبغي المواظبة عليها ونيلها كل يوم جمعة ألف مرة.

فصل: والدليل على جواز العمل بما ألهم الله به الأولياء من الأذكار, والأدعية, وإثبات خاصيتها بالإستنباط تقريرُه صلى الله عليه وسلم أصحابه على أذكار وأدعية سمعها منهم وحضَّهم باستعمالها مما لم يتقدم لهم فيه تعليم لألفاظه وإن كانوا فهموا منه صلى الله عليه وسلم معانيه كحديث عبد الله بن بريدة رضي الله عنه أنه سمع النبي عليه السلام رجلا يقول: "اللهم إني أسالك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"، فقال: "لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى". رواه أبو داوود والترمذي وحسنه وصححه الحاكم وابن حبان. وحديث معاذ رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول: "يا ذا الجلال والإكرام"، قال: "استجيب لك فسل تعطه"، أخرجه الترمذي. وحديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بأبي عياش الزرقي وهو يصلي ويقول: "اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم" فقال: "دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى". أخرجه أبو داوود وابن حبان والنسائي في صحيحه والحاكم وقال على شرط مسلم وغيرها من الأحاديث.

ودليل الأولياء على تعيين ثواب بعض الأعمال مما لم يُرْوَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كقولهم من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة الفلانية فله كذا وكذا ما قال العياشي: هو مما يلهمه الله أولياءه أو يرونه مكتوبا بقلم القدرة على حجر أو ورق شجر أو يسمعون الهاتف يهتف بذلك أو يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم في النوم أو اليقظة أو يخاطبون به عن الهمم اللطيفة وهو أصل متين من الأصول المعتمدة عندهم رضي الله

Scanned with CamScanner

عنهم, ودليله من السنة قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه: كان فيمن قبلكم محدثون من غير أن يكونوا أنبياء فإن كانوا في أمتي فعمر منهم وهذا هو المراد عندهم بالمكالمة.

فصل: ينبغي أن يقصد المصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثال أمر الله تعالى وتصديق نبيه وشوقا إليه, ومحبة فيه, وتعظيما لقدره وكونه أهلا لذلك ورجاءً لثواب ذلك ومعناها من الله رحمة مقرونة بالتعظيم ومن الملائكة الإستغفار ومن الآدميين التضرع والدعاء، والحذر الحذر من استعمال ألفاظ التصلية بدل الصلاة وإن وقع فيه بعض المتصوفية والمتفقهة. والصحيح أن من قال "اللهم صل على سيدنا محمد عدد الرمال" مثلا ونحو ذلك يحصل له من الثواب بعدد ذلك ولذا قال ابن عطاء الله في تاج العروس: من قارب فراغ عمره وأراد أن يستدرك ما فاته فليذكر بالأذكار الجامعة فإنه إذا فعل ذلك صار العمر القصير طويلا كقوله "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته" انتهى. لكن يطلب على المصلي بالصلاة الجامعة أن يشعر نفسه بأنه لما عجز أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بهذا العدد الكثير وفي قلبه من الشغف على ذلك ما لا يقدر قدره إلا اللطيف الخبير طلب ذلك من القوي السميع البصير، وعلى هذا المعنى اعتمد العارف أحمد زروق في قواعده.

فصل: سئل العياشي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الأزقة والطرقات فأجاب بأن ذلك من خلاف الأولى. حكي عن مالك أنه لا يذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة تعظيما واحتراما له صلى الله عليه وسلم.

والحكمة في كوننا نسأل الله أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ولا نصلي عليه نحن بأنفسنا كأن يقول العبد أصلي على محمد أنا لما أمرنا بالصلاة عليه ولا نبلغ قدر الواجب من ذلك، أحلناه على ربنا سبحانه لأنه أعلم بما يليق به. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب، انتهى.

Scanned with CamScanner

وشاع بين الناس أن الصلاة عليه لا تؤخذ في التبعات لكن بشرط، إن قصد بها التعظيم والمحبة فينبغي للمصلي أن يبتغي بها رضى الله وطهارة نفسه وزكاء روحه وصلاح قلبه حتى يكون كريم الأخلاق صالحا لدخول الحضرة الإلهية القدسية لا لينال بها حظا من حظوظ دنياه كمن يطلب باسمه العليم الكشف والجبار, والسريع والقهر والبطش والغني والواسع سعة الرزق فذلك سوء أدب، قالها الجزولي في مختصر الكفاية.

قلت: قال أحمد زروق في قواعده: الخواص ثابتة في الأقوال والأفعال والأعيان وأعظمها خواص الأذكار قد جعلها الله كالأشربة والمعاجن في منافعها لكل ما يخصه إلى أن قال واستشراف النفوس بما يلائمها طبعا لما فيه نفع دنيوي مشروع فمن ثم رغب في أذكار وعبادات بأمور دنيوية كقراءة الواقعة لدفع الفاقة وبسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لصرف البلايا المفاجئة وأعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لصرف السمومات والحفظ في المنزل إلى غير ذلك من الأذكار لأنها إن أفادت عين ما قصدت له كان ذلك داعيا لحبها، وحبها داع لحب من جاء بها، وإن لم تفد عين ما قصدت به فاللطف موجود بها لا محالة. فبهذا الأصل استند أبو العباس البوني, ومن نحى منحاه في ذكر الأسماء وخواصها، وإلا فالأصل أن لا تجعل الأذكار والعبادات سببا في الأغراض الدنيوية إجلالا لها والله أعلم.

وليكن هذا آخر ما أردنا جمعه من هذا الكتاب نفعنا الله به ونفع به جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم بجاهه عنده. وقال المؤلف قد يسر الله إكماله يوم الأحد لثمان خلت من شهر الله شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين بعد ألف من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

والحمد لله رب العالمين

تمت بحمد الله وحسن عونه اهـ.

Scanned with CamScanner